مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد الثاني والعشرون، العدد الثاني، ص213– ص238 يونيو 2014
ISSN 1726-6807 http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

# إنتاج الدلالة في لغة الخطاب السياسي الفلسطيني

د. مدحت ربيع دردونة

جامعة القدس المفتوحة – فرع شمال غزة

**ملخص:** خصصنا هذا البحث لدراسة لغة الخطاب السياسي الفلسطيني المعاصر من الناحية الدلالية ؛ لنقف على اللغة المستخدمة في إنتاج الأفكار داخل هذا الخطاب ، والكيفية التي تتكون بها، والعوامل التي تحكم هذه العملية، والتغيرات التي تعتريها في ظل الأحداث السياسية المتلاحقة، وصولاً إلى استراتيجيات الفهم عند القادة تجاه قضاياهم وفق المعطيات المتوفرة من وجهة نظرهم ، وذلك من خلال تحديد شبكة المفردات الرئيسية التي تشكل المحور الأساسي في هذا الخطاب ، وهي: فلسطين ، وإسرائيل ، والأمة العربية ، وأمريكا ، وتحليل هذه المفردات على المستويين الرأسي و الأفقي.

# Production of significance in the Language of Palestinian political speech

**Abstract:** This study was designed to analyze the Language of Palestinian modern political speech semantically to stand upon the language used in generating ideas within the speech, the process it follows, the features that govern that process and the changes that occur on that speech with regard to the current political developments. This analysis will develop an understanding regarding the leaders' strategies towards their national issues depending on the their views, through determining their major vocabulary used in the political sector of the speech which are: Palestine, Israel, the Arab Nation, America. These particular vocabulary will be analyzed syntactically and paradigmatical

**مقدمة**

اختص الله عز وجل الإنسان باللغة دون غيره من المخلوقات تكريماً له ولدوره المقدر لـــه فـــي الحياة ، وهو تكوين المجتمعات التي لا يمكن تصور وجودها إلا باللغة ، فبها يتواصل الإنســـان بأخيه الإنسان ويتبادل المنافع ويقضي الحاجات، وبها ترتقي الأمم وتبنى الحضارات ، وقد أودع الشعراء في خزانتها ثمرة قرائحهم ، وأنتج بها المفكرون والفلاسفة والعلماء كنـــوز معـــارفهم . وهي فوق هذا أداة للتفكير يتشكل وفقاً لها أنماط السلوك الإنساني . " فاللغة ذات قوة سحرية فـــي المجتمع الذي تنمو في أحضانه " ( 1 ) . ويكفي أن نتذكر أن رسالات السماء ومناهج المصلحين أصلها كلمات .

إذن لا نتصور حديثاً عن اللغة دون الحديث عن الإنسان ، فالبحث فيها هـــو بحـــث فـــي الإنسان نفسه ، فبقدر ما تكون لغة الشخص صادقة خيرة بقدر ما يكون لصـــاحبها مكانـــة عنـــد الناس، وبقدر ما تكون لغة الشخص كاذبة وشريرة بقدر ما يفقد احترامه ومنزلته بـــين النـــاس ،

فالرجل هو الكلمة ، وشرف الرجل كلمة ، فرب كلمة طيبة تفتح أبواب الرزق ، وتأخذ بيد المحزونين وتواسى المكلومين وتأخذ بيد المحرومين إلى طريق النعمة والسعادة ، ورب كلمة شريرة يقولها مسئول أهوج فتأخذ البلاد والعباد إلى الخراب والدمار . وفي الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالاً، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم " ( 2 ) . ولذلك عني العلماء والباحثون منذ أقدم العصور بشأن هذه الأداة السحرية التي تتحكم في حياة البشر ، فعكفوا على دراستها والبحث في طبيعتها وحقيقتها . وقد كان للعرب في هذا الميدان شأن كبير ، من حيث عمق الدراسة وكثرة المحصول وغزارة المادة واتساع مناحي البحث وعمق النظر وشمول الدراسة ، فنظروا في أصوات العربية وصرفها ونحوها وأساليبها وموسيقى شعرها وقواعد نظم منثورها وأحوال مفرداتها وثروتها اللفظية بصورة لم تأت بها أمة من قبل ( 3 ) .

وبتقدم الزمن وتطور الوسائل والأدوات في الأمم المتحضرة أصبحت دراسة اللغة أكثر عمقاً واتساعاً ، فتعددت المناهج ، وتنوعت وجهات النظر ، وكثرت المدارس اللغوية ، وقد كان لهذا الاتساع وهذا التنوع والتعدد أثر بارز في ازدهار حقل الدراسات اللغوية وبيان أهمية الربط بين اللغة وحقول معرفية أخرى ، كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الإنسان، وغيرها مما له علاقة بحياة الإنسان . ويعد الإعلام من بين الميادين التي تعتمد اعتماداً كلياً على اللغة وطرائق استخدامها . ولذلك اهتم الإعلاميون بدراسة اللغة وبكيفيات توظيفها في المواقف المناسبة للوصول إلى أعلى درجة من التأثير في قطاعات الجماهير . ورجال السياسة ليسوا بأقل من الإعلاميين اهتماماً بهذا الباب من المعرفة ، فهم أخبر الناس بقوة اللغة وقدرتها على إحداث التأثير المطلوب ، بل لا نبالغ إذا قلنا إننا نعيش في عصر لا يملك فيه السياسي من أدوات القوة أكثر من حسن استخدام اللغة والتفنن في صوغ أساليبها .

إن الحديث عن لغة السياسة حديث ذو شجون ؛ فاللغة التي أنعم الله بها على الإنسان للتعبير عن أفكاره وقضاء حاجاته وتتمة بقائة على هذه الأرض قد تصبح عند بعض السياسيين باعثاً للفرقة والشقاق ، وإذا صح ما يقوله علماء الفرنسيين من أن الإنسان إنما يتكلم ليخفي ما يدور في ذهنه فليس ينطبق هذا على الشيء مثلما ينطبق على لغة السياسة ( 4 ) .

**التعريف بعلم الدلالة**

قد يبدو أن معنى كلمة ( دلالة ) من المعلوم الذي لا يحتاج إلى تعريف . وهذا ربما يلامس الحقيقة إذا ضربنا صفحاً عن خلاف العلماء والباحثين حول التعريف العلمي الدقيق لمعنى الدلالة

، فقد نقنع بما قنع به غيرنا فنقول إن الدلالة هي المعنى ، على اعتبار أن المعنى واضح في الأذهان، بوصفه " علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول : علاقة تمكن كل واحد منهما من استدعاء الآخر" ( 5 ) . وذلك كدلالة لفظ ( محمد ) على معناه الذي هو الذات ، فاللفظ هو الدال والذات هي المدلول ، وفهم الذات من اللفظ هو معنى الدلالة ( 6 ) . ولكننا عند التطبيق العلمي نجد أنفسنا أمام فيض من التعقيدات التي تستوقفنا وتحتاج منا إلى النظر والتأمل ، أهمها ما يتعلق بطبيعة المعنى ، فهل المقصود معاني المفردات خارج السياق ( المعاني المعجمية ) ؟ أم معاني هذه المفردات داخل السياق اللغوي ؟ أم المقصود دراسة معاني الجمل ؟ وهل يدرس المعنى في الإطار اللغوي المحض ؟ أم يدخل في ذلك عنصر المقام أيضاً ؟ ثم ماذا عن المعنى الاجتماعي للجملة ؟ كل هذه الأسئلة وغيرها تواجه من يتصدى لتعريف الدلالة تعريفاً علمياً دقيقاً ، ومع ذلك ظهرت العديد من المحاولات في العصر الحديث للبحث في هذا الموضوع رغبة في الوصول إلى نظرية متكاملة تدمج علم الدلالة في القواعد الكلية الشاملة للغة .

ففي الغرب ظهر أثر العالم اللغوي دي سوسير في دراسة المعنى بتفريقه بين الدراسة التاريخية والدراسة الوصفية ، ولفت أنظار العلماء إلى هذه الدراسة الوصفية ، ثم نظرته إلى اللغة باعتبارها نظاماً متكاملاً مكوناً من مستويات متشابكة ومتكاملة مهد لنشأة المدارس الشكلانية في علم اللغة في أوروبا . وفي الولايات المتحدة الأمريكية سطع نجم العالم اللغوي بلومفيلد الذي كان متأثراً بعلم النفس السلوكي ، فعرف المعنى بأنه " الموقف أو المقام الذي يقوم فيه المتكلم يقول كلمة أو جملة ورد الفعل أو الاستجابة " ( 7 ) . ثم جاء بعد ذلك أنصار المدرسة التوليدية التحويلية التي بدأها تشومسكي ، فحاولوا أن يتوصلوا إلى معرفة النظام الكامل لدلالات المفردات ، ثم طرق اقتران بعضها ببعض لتكوين الجمل ذات المعنى المفهوم والمقبول ، وذلك من خلال اللغة نفسها ، وبغض النظر عن الموقف أو المقام الذي تقال فيه تلك الجمل ، تاركين بذلك دراسة المقام وأثره في جلاء المعنى للباحثين في الجانب الاجتماعي للغة ، وهم أصحاب مدرسة فيرث ، الذي يرى أن الكلام شيء ديناميكي ؛ لأنه نشاط شخصي واجتماعي يتفاعل مع قوى أخرى في موقف بعينه ( 8 ) . وأخيراً ، في النصف الثاني من القرن العشرين ظهر منهج تحليل الكلمات إلى عناصرها الصغرى التي يتألف منها المعنى الكامل للكلمة ، فكلمة رجل مثلاً تتكون من العناصر الأولية التالية : اسم / محسوس / معدود / حي / بشري / ذكر / بالغ . وبمقارنة ذلك مع كلمة امرأة ، نجد أن الاختلاف يكمن في عنصر واحد مميز هو الجنس . وهكذا .

وبرغم كل هذه المحاولات الجادة والقيمة إلا أن موضوع المعنى يظل موضوعاً شديد التعقيد ومتعدد الجوانب ، وأن إخضاعه للدراسة العلمية المنظمة ودمجه في نظرية لغوية متكاملة لم يلق

النجاح الكامل حتى الآن ( 9 ) ، ويبقى الأمر في حاجة إلى المزيد من البحوث والدراسات ، ويبقى أيضاً عامل التسامح في فهم المعاني قائماً . فالذين يعيشون في بيئات مختلفة ويتأثرون بتجارب متباينة تترك هذه البيئات وهذه التجارب أثراً قوياً في فهمهم للألفاظ ، وهذا ما يطلق عليه الدلالة الهامشية للألفاظ ، ولكنهم مع ذلك يتعاملون بتلك الألفاظ ويتنازل كل منهم عن تلك الفروق التي تلون الدلالات بلون خاص في ذهن كل منهم ، ويقنعون في تلك الحياة الاجتماعية بقدر مشترك من الدلالة يصل بهم إلى نوع من الفهم التقريبي الذي يكتفي به الناس في حياتهم العامة (10) .

لكن الأمر يختلف عند الحديث عن الدلالة في المجال السياسي ، إذ يعمد السياسيون أحياناً إلى شحن الألفاظ السياسية بقدر كبير من الدلالة الهامشية ، ويستغلونها في دعايتهم وفرض آرائهم على الجمهور . وليس ببعيد عنا ذلك الخلاف بين الدول حول تحديد مفهوم الإرهاب ، فأمريكا مثلاً تطلق لفظ إرهاب على كل عمل عدائي يعرض مصالحها للخطر حتى لو كان هذا العمل مشروعاً وكانت مصالحها غير مشروعة ! فمقاومة الاحتلال الإسرائيلي في نظر القادة الأمريكان إرهاب ، والفدائي إرهابي ، وأخطر ما في ذلك شيوع هذا اللفظ على نطاق واسع حتى أصبح غطاء لكل ممارسات العنف والبطش التي تقوم بها الحكومات ضد خصومها المعارضين لسياساتها ، فكل ما على الحكومات الظالمة أن تفعله لتصفية المختلفين معها من أبناء الوطن هو أن تلصق بهم تهمة الإرهاب ! وانظر أيضاً إلى مفهوم والديمقراطية كيف يختلف حولها الناس ويتفرقون شيعاً وأحزاباً ! وهل مفهوم الحرية في ذهن الغربي كما هو في ذهن العربي أو الشرقي ؟ ولماذا نذهب بعيداً ، فمعجم المصطلحات السياسية المتعلق بحقل الصراع مع إسرائيل مكتظ بالمفردات التي تؤجج صراعاً بين الطرفين أكثر مما تقدم معلومات ، منها مثلاً أن إسرائيل تطلق على الانسحاب عبارة إعادة الانتشار ، وعلى خطوط الهدنة اسم الخط الأخضر ، وعلى الأراضي المغتصبة اسم مستوطنات أو مستعمرات ، وعلى جيشهم المكون من عصابات مجرمة اسم جيش الدفاع ، وعن تخفيف الحصار يقولون تقديم تسهيلات ، أما حائط البراق فهو عندهم حائط المبكى ، وأراضي الضفة الغربية يطلقون عليها اسم يهودا وشمرون ، والقائمة في ذلك نطول . والأمر نفسه انسحب على الخطاب السياسي الفلسطيني رغبة في ترسيخ مفاهيم تخدم الإطار العام لسياسة ما، أوفي صراع الفصائل بعضها وبعض ، ففي الحربين الأخيرتين على غزة ، كانت البلاد تتقياً كبدها من شدة الألم والمعاناة ، بينما يخرج القادة يعلنون الانتصار ، ويقيمون المهرجانات احتفالاً بذلك ، على اعتبار أننا انتصرنا لأن الجيش الإسرائيلي لم يحقق هدفه في القضاء على المقاومة ، وهنا نجد أنفسنا في صراع مع الألفاظ والمعاني أكثر من

صراعنا مع الاحتلال ، فهل النصر هو هزيمة العدو كما هو معروف ؟ أم أن إخفاق العدو في تحقيق كامل أهدافه يعد نصراً لنا ؟ ثم هل ما حدث بين السلطة الفلسطينية وحركة حماس في غزة عام 2007م يعد انقلاباً أم حسماً ؟... إن هذا الخلاف حول التسمية يعود إلى الاختلاف حول المفاهيم والقناعات ، ورحم الله تلكم القوم الذين أوتوا فصل الخطاب ، فقالوا لنا إن ما حدث في غزة هو انقسام !

**معنى الخطاب**

الخطاب في اللغة هو طريقة التخاطب والتواصل مع الآخر ، وقد جاء في لسان العرب ، في مادة ( خطب ) : " الخطاب والمخاطبة : مراجعة الكلام . وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً ، وهما يتخاطبان " ( 11 ) . أما اصطلاحاً ، فله تعريفات عدّة بحسب وجهات نظر الباحثين ، شأنه شأن كثير من المصطلحات التي تكونت حولها ضبابية في التعريف ، فيختلف التعريف من باحث إلى آخر ، ومن حقل معرفي إلى آخر ، لهذا ظل مفهوم الخطاب يقبل التأويل ، دون وضع إطار تعريفي محدد له بما يؤدي إلى تحديد خصائصه وسماته، فمفهوم الخطاب كثيراً ما يخضع للمعارف التي يستخدم فيها ، كالخطاب السياسي ، والخطاب الإعلامي ، والخطاب الديني والخطاب الأدبي والخطاب الفلسفي ...الخ

فالخطاب عند تودوروف هو " أي منطوق أو فصل كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمع ، وفي نية الراوي التأثير على المستمع بطريقة ما ( 12 ) . أما هارتمان وستروك فقد عرفاه بأنه نص محكوم بوحدة كلية واضحة ، يتألف من صيغ تعبيرية متوالية ، تصدر عن متحدث فرد يبلغ رسالة ما (13).

وفي الثقافة العربية يتصل مصطلح ( الخطاب ) بحقل علم الأصول ، لهذا فأن دلالته مقيدة بإجراءات ذلك الحقل مباشرة، وممارسته فيه يصعب حصرها ، بسبب ضخامة الموروث الأصولي من جهة ، وتعدد زوايا النظر إلى ذلك الموروث من جهة ثانية ( 14 ).

ورد لفظ الخطاب في القرآن الكريم ست مرات :

" وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ " ( ص : 20 )

" فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ " ( ص : 23 )

" رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا " ( النبإ : 37 )

" وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا " ( الفرقان : 63 ) .

" وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا " ( هود : 37 ) .

" وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ " ( المؤمنون : 27 ) .

يتبين في ضوء التفاسير التي وضعها المفسرون القدماء والمحدثون للآيات القرآنية التي وردت فيها لفظة ( الخطاب ) أن المفهوم القرآني للخطاب يُحيل إلى الكلام المؤثر الشافي المقنع في مقاصده ، ولا تختلف دلالة هذه اللفظة في المعجم العربي عما ذكر ، إذ إن الدلالة المعجمية استمدت من دائرة التفسير القرآني على وفق السياق الذي وردت فيه لفظة ( الخطاب ) في القران الكريم . وفي العصر الحديث ظهرت محاولات عدة لتعريف الخطاب تهدف إلى تقريب المفهوم العربي للخطاب من المفهوم الغربي .

فالخطاب عند محمد عابد الجابري هو " مجموعة من النصوص لها جانبان : ما يقدمه المرسل وهو (الخطاب) وما يصل المتلقي وهو (التأويل) " (15 ) .

ويتضح الفرق بين ما يقدمه المرسل وما يفهمه المتلقي بمقدار الاختلاف في القصدية أو العمدية ؛ فالخطاب محكوم بمستوى الحدس الذي يقوم به الكاتب بإعادة القراءة ، فهو المتلقي الأول ويقوم بإعادة الإنتاج بافتراض القارئ الأنموذجي ، لكن هذا القارئ يستمد مرجعيته اللغوية من معجم المؤلف الخاص (16 ) ، ولا يتعدى الخطاب القابلية الإشارية للكاتب ، فيأتي معبرا عن تجربته اللسانية والذهنية في المفردات والصور الفنية وعندها لن يكون الاحتكام إلى شروط نجاح التلقي دقيقاً ، فالاحتكام يعتمد على دلالة المفردة عند المتلقي وانعكاساتها الذهنية ومستواها التعاضدي ودرجة تعقيد العبارة وطواعيتها في ذهنية عدد من المتلقين وفي أوسع حيز بيئي ( 17 ) .

أما ( معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ) فقد عرّف الخطاب أنه " مجموع التعابير الخاصة التي تتحدد بوظائفها الاجتماعية ومشروعها الأيديولوجي " ( 18 ) .

تدخل الكلمات عادةً ضمن قوالب لغوية و في تراكيب ووحدات لغوية أكبر كالعبارات والجمل والفقرات والأحاديث على اختلافها ، وعند ترتيب الكلمات في وحدات كهذه فأنها تعطي قدراً معينا من التأكيد مما يؤثر على معانيها ويتم ذلك سواء عن طريق الشكل الذي رتبت به الكلمات أو عن طريق النبرة المستخدمة ، فمعاني الكلمات المخزونة في أذهان الناس لا تحظى بالدقة والتحديد إلا حين تضمها التراكيب اللغوية (19 ) . ويعتمد التأثير إلى درجة ما على نوع العلاقة بين المتكلم والمخاطب والموقف الذي يجري فيه الاتصال (20 ) .

إن السياسة هي تأثير اللغة وتأثير القوة والسلطة ، ومن شأن هذه اللغة أن تساعد على إيجاد إطار أساسي للباحثين في مجال تحليل الخطابة والاتصال ، وبخاصة عند استخدامها في حالات التهديد أو التحذير أو الهيمنة ( 21 ) .

إذن النشاط السياسي مزيج من القوة واللغة ، تشكل فيه اللغة عاملاً أساسياً لا تستغني عنها البحوث التي تعنى بفهم السياسة ، كما لا يستغني حقل السياسة عن نتائج البحوث اللغوية لمعرفة كيفية التعامل مع عقول مستخدمي اللغة . ولقد اثبت علماء الدلالة أن الألفاظ تؤثر في الجهاز العصبي للإنسان ، كما أن اختيار الألفاظ هو الذي يساعد على التحكم في اتجاهات الناس وتصرفاتهم ، ولما كان رجال السياسة يهدفون إلى تعديل الاتجاهات وكسب التأييد وتعبئة الشعور ، فإن نتائج علم الدلالة من أهم البحوث التي يفيدون منها ( 22 ) .

فمضمون اللغة السياسية يحظى باهتمام قطاع كبير من أفراد المجتمع ؛ لأنه يتعلق – في الأعم الأغلب بقضاياهم المصيرية ، كالحرب والسلام والحدود والتنمية وغيرها ، ولأن اللغة المستخدمة في الحديث عن مثل هذه القضايا – التي تمس حياة كل فرد في المجتمع – صادرة عن متحدثين لهم مكانتهم في النظام السياسي ، فقد تتحول في لحظة ما إلى فعل سياسي مؤثر ، ولذلك تهتم وسائل الإعلام بتغطية كل ما يصدر عن الساسة بلغتها التي تصل إلى الملايين من الجماهير ، وتصبح ما تحمله هذه اللغة من مضامين مادة للحديث والنقاش فيؤثر ذلك على تشكيل رأي عام سواء أكان سلبياً أم إيجابياً ( 23 ) ، رغم اختلاف الناس في مدى وضوح الدلالات في عقولهم وأذهانهم ، ومبلغ تحقيقها لنفعهم العام ومصلحتهم المشتركة ( 24 ) .

فالفرد يتابع ما يحدث قبل وقوع الفعل السياسي وبعد وقوعه عبر وسائل الإعلام التي تغطي هذا الفعل وتفسره وتوضحه من أجل إقناع الرأي العام به ، وقد يسبق هذا الفعل حملات خطابية تحاول تهيئة الرأي العام له ، من خلال مهارات لغوية في تقديم المعلومات المتعلقة بوجهة نظرهم ، وذلك لتأكيد قناعات أو تغييرها أو إعادة تشكيلها بطريقة تتفق وتطلعات هؤلاء السياسيين أملاً في قبول الرأي العام لهذا الفعل أو المشاركة فيه ، وخير مثال لذلك ما نجده عند الساسة الفلسطينيين في السلطة الوطنية الفلسطينية الذين وجدوا أنفسهم أمام حالة سياسية جديدة ومتحولة ، وأقصد بها ما يتعلق بموضوع السلام مع إسرائيل ، فبعد أن يجهد الساسة الفلسطينيون أنفسهم في إقناع الشارع الفلسطيني بأهمية السلام مع إسرائيل من خلال لغة تضفي على إسرائيل مسحة من القيم الإيجابية بوصفها شريكاً في السلام ، يفاجئون بالتعنت الإسرائيلي والتنكر لما تم الاتفاق عليه ، فتعود اللغة ساخنة ملتهبة ، وبين هاتين الحالتين درجات من الاستخدامات اللغوية المراوغة التي يقصد بها التعمية والتضليل أكثر مما يقصد بها الإبلاغ والتوصيل ، الأمر الذي أدى إلى فقدان ثقة الشارع الفلسطيني في مصداقية الخطاب السياسي في السنوات الأخيرة ، فكثر معارضوه ، وازداد عدد من يرفضون الاستمرار في مشروع السلام مع إسرائيل .

وهذا دأب الغالبية العظمى من الخطابات السياسية في كثير من دول العالم الثالث ، بل ربما في بعض دول العالم المتقدم أيضاً ، ولهذا بدأ الاهتمام بلغة الخطاب السياسي يأخذ طريقه إلى النور ، فأفردت لذلك الدراسات والبحوث المتنوعة ، وهي على كثرتها في حاجة إلى المزيد ، فالخطاب السياسي يفترض فيه أن يكون خطاباً متجدداً بتجدد الأحداث ، وبالتالي يحتاج تجديداً وتطويراً في استخدام اللغة بقدر أو بآخر ، ولذلك خصصنا هذا البحث لدراسة لغة الخطاب السياسي في فلسطين من الناحية الدلالية ، لنقف على اللغة المستخدمة في إنتاج الأفكار داخل هذا الخطاب ، والكيفية التي تتكون بها ، والعوامل التي تحكم هذه العملية، وذلك من خلال تحديد شبكة المفردات الأساسية التي تشكل المحور الأساسي في الخطاب السياسي الفلسطيني المعاصر ، وهي : فلسطين ، وإسرائيل ، والأمة العربية ، وأمريكا ، وتحليل هذه المفردات على المستويين الرأسي الاستبدالي الذي تتخذه الكلمة مع كلمات أخرى يمكن أن تحل محلها ( 25 ) ، وعلى المستوى الأفقي الذي يبين علاقة عنصر لغوي بعناصر لغوية أخرى في السياق ( 26 ) ، وذلك لبيان أهمية ما تمثله كل مفردة من هذه المفردات – بمقابلاتها الاستبدالية وعلاقاتها التجاورية – من دلالة على طبيعة الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين خلال مراحل هذا الصراع المتطورة . ونقصد بإنتاج الدلالة تلك التغيرات التي تعتري اللغة بسبب الأحداث السياسية المتلاحقة، ويكون الخطاب اللغوي إطاراً للتعبير عنها ، وصولاً إلى استراتيجيات الفهم عند القادة تجاه قضاياهم وفق المعطيات المتوفرة من وجهة نظرهم ، فالبحث في لغة الخطاب هو بحث في أعماق النفس البشرية بكل جوانبها . أما مادة البحث فهي التصريحات والخطابات التي تصدر عن القادة والمسئولين الفلسطينيين الذين يشغلون مناصب في منظمة التحرير الفلسطينية ، وتقلدوا بعد ذلك مواقع قيادية في السلطة الوطنية الفلسطينية ، وهم – على كل حال – يمثلون القيادة الرسمية للشعب الفلسطيني، من وجهة نظر المجتمع الدولي، رغم ما اعترى شعبيتهم من تآكل في السنوات الأخيرة . وهذه التصريحات والخطابات تناولتها وتتناولها وسائل إعلامية عدة، محلية وعالمية، مقروءة ومسموعة .

**فلسطين**

إن الكلمة المركزية ( فلسطين ) هي أكثر الكلمات التصاقًا بوجدان الفلسطيني بما تستحضره من دلالات تاريخية ودينية ارتبطت بمراحل الصراع الطويل بين الشرق الإسلامي والغرب الصليبي للسيطرة على المدينة المقدسة ، هذا الصراع الذي امتد عبر القرون أخذ أشكالاً عدة ؛ فمن حملات صليبية دأبت على سفك الدماء تحت شعار المسيحية ، والمسيحية منهم براء ، إلى غزوات استعمارية مزقت الأوطان ونهبت الثروات ، وصولاً إلى احتلال بغيض اقتلع الناس من

أرضهم ودمر بيوتهم وأنشأ كياناً من المرتزقة والمجرمين سموه إسرائيل ، وقد كان الشعب العربي والفلسطيني– ومن خلفه الأمة الإسلامية – يتصدون لهذه الغزوات والحملات فكان النصر يحالفهم مرة ، ويجانبهم مرات أخرى ، حتى انتهينا إلى الربع الأخير من القرن العشرين ، فانشق الصف العربي بين متبن لخيار الكفاح ولا تمكنه قدراته من إحداث التغيير اللازم في معادلة الصراع المسلح ، وآخر ادعى فهمًا متقدمًا لإدارة الصراع ، فانسحب من المواجهة العسكرية وتبنى مسار التسويات السلمية ، فتضاءلت الآمال وحارت النفوس واستقوى العدو ، فأخذت مفردات الصراع تتكمش على نفسها وتتراجع، فمن الصراع العربي الإسرائيلي إلى النزاع العربي الإسرائيلي ، ثم الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ، ثم القضية الفلسطينية ، ثم مسألة فلسطين .. وبرغم كل هذا التدهور في السياسات العربية، والتراجع في مستوى الخطاب السياسي الفلسطيني والعربي فقد بقيت كلمة فلسطين مشحونة بدلالاتها التاريخية والدينية في وجدان كل أبناء الأمة العربية والإسلامية ، وهي تعني عندهم كل فلسطين من النهر إلى البحر . وقد شاع استخدام مفردة ( فلسطين ) كثيرًا في مرحلة المد القومي وما تبعها من ظهور كيان فلسطيني مقاوم متمثل في منظمة التحرير الفلسطينية (27 ) ، وقد كانت الموقعية الشائعة لها في الاستخدامات اللغوية هي موقعية المضاف إليه ، وشغل موقع المضاف معها كلمات دالة على الكفاح المسلح ، مثل : تحرير فلسطين ، استعادة فلسطين، وهي تراكيب إضافية من باب إضافة المصدر إلى مفعوله ، صمود الفلسطينيين ، كفاح الفلسطينيين . وكان منفذو الفعل النضالي هم الفدائيون والمقاتلون والأبطال ، وقد كانت هذه المفردات شائعة خارج الوطن وتصل إلى الفلسطينيين في الداخل عبر وسائل سمعية أو كتابية سرية ، لأن الألفاظ الثورية كانت تفرض عليها قيود من الاحتلال ، ولذلك كانت هذه المفردات تستبدل في الصحف التي تصدر تحت الاحتلال ، فالعمل الفدائي يطلق عليه مقاومة ، ومنفذو العمليات هم مسلحون فلسطينيون أو مجموعات مسلحة . غير أن المتغيرات السياسية ، ودخول مصر في معاهدة سلام مع إسرائيل عام 1978م ، وما صاحبها من أحداث عسكرية وخروج منظمة التحرير من لبنان عام 1982م خط المواجهة الأول ، ثم حرب الخليج الثانية عام 1990م ، أفرزت واقعًا جديدًا دفع قيادة المنظمة إلى الدخول في مشروع مفاوضات مع إسرائيل ، وبعد مؤتمر مدريد عام 1991م و اتفاقية أوسلو عام 1993م ، وعودة قيادة منظمة التحرير إلى غزة والضفة الغربية ظهرت مفردات أخرى في الخطاب السياسي الفلسطيني الرسمي ، وأخذت تشق طريقها في إطار المحور الاستبدالي لمفردة ( فلسطين ) وخصوصًا بعد اتفاقية أوسلو مثل : الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967 بما فيها القدس الشرقية ، الضفة الغربية وقطاع غزة ، الأراضي الفلسطينية ،

أراضي الدولة الفلسطينية، الحكومة الفلسطينية ، السلطة الفلسطينية ، وذلك تمشيًا مع الاتفاقية التي أعطت إسرائيل كافة الأراضي الفلسطينية التي احتلتها عام 1948 م ، (28 ) . أما منظمة التحرير الفلسطينية فقد تضاءل استخدامها لحساب السلطة الوطنية الفلسطينية، ثم دولة فلسطين .

من الاستخدامات اللغوية الشائعة في حقل السياسة استخدام اسم الدولة بديلاً عن الحكومة والرئيس والشعب معًا ، فيقال : إسرائيل أصرت ، ومصر وقعت ، وأمريكيا قررت ، وسوريا أعلنت ؛ والمقصود الحكومات التي تمثل الأوطان ، إلا أن فلسطين لم يتح لها ذلك ، فقام الإنسان الفلسطيني بهذه المهمة ، ومن هنا استحقت الألفاظ الدالة على هذا الشعب أن تدخل في محور استبدالي مع كلمة فلسطين ، على أن تكون كلمة فلسطين صفة لهذه الألفاظ ، وهذه الألفاظ هي : الشعب الفلسطيني ، الفصائل الفلسطينية ، المقاتلون الفلسطينيون ، منظمة التحرير الفلسطينية ، وكانت هذه المنظمة نقطة الارتكاز في العمل النضالي بوصفها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني . وهذا الدور برز بوضوح منذ عام 1967 إلى عام 1987 ، وهو العام الذي انطلقت فيه الانتفاضة الفلسطينية ، وقد قامت منظمة التحرير في هذه الفترة بدور الفاعل للأحداث في ضوء الاستقلال النسبي للقرار الفلسطيني ، والأخذ بزمام المبادرة ، فقوة الموقف مرتبطة بقوة الفعل . أما الوحدات اللغوية التي تقع موقع المسند فكانت قبل انتفاضة 1987 م معبرة عن التحدي والكفاح مثل الأفعال: كبدت العدو خسائر ، أربكت مخططاته ، أعلنت حالة الاستنفار ، تصدت للطلعات الجوية ، قصفت مواقع .. الخ .

ويبدو أن استخدام الفعل الماضي في سياقات المواجهة العسكرية بين منظمة التحرير وإسرائيل أمر يتعلق بطبيعة العمل العسكري ، الذي لا يعلن عنه إلا بعد حدوثه . أما في الإطار السياسي التنظيري وإعلان المواقف فقد شاع استخدام الفعل المضارع مثل : نصرّ ، نتحدى ، نضحي ، نتمسك ، سنبقى نقاتل ، نقاوم ...الخ ، فالمضارع يعمل على استحضار الحدث والفكرة ويمثل الواقع ويؤثر في مشاعر المتلقي (29 ) ، وإذا كان الفعل المضارع منفيًا ، فأداة النفي المفضلة والأكثر شيوعًا في هذا السياق هي ( لن ) التي يمتد معها زمن النفي إلى المستقبل ، مثل : لن نفرط ، لن نتنازل ، لن نساوم ، لن نتراجع ...الخ ، فلن تأتي لتأكيد النفي في المستقبل ، وهي أخت ( لا ) ولا فرق بينهما في أن كل واحدة منهما تنفي المستقبل إلا أن في لن تأكيداً وتشديداً ليس في لا ( 30 ) . أما الصفات التي شغلت موقع المسند في تلك الفترة فهي صفات دالة على القوة ، مثل : قادرة ، أقوى من ، مصممة ،

وفي زمن الانتفاضة الأولى أخذت مفردة ( الشعب الفلسطيني ) تزاحم منظمة التحرير في الخطاب السياسي الفلسطيني ، بسبب تحول مركز الثقل المنتج للحدث من الخارج إلى داخل

فلسطين ، ثم من أجل أن يكون الفعل النضالي مستندًا إلى القاعدة الشعبية الجماهيرية بأدواتها البسيطة مقابل ترسانة الأسلحة الإسرائيلية ، فيكتسب الفعل تأييدًا عالميًا ، هذا مع الأخذ في الاعتبار أن منظمة التحرير هي من كان يدير الأحداث . وقد كانت الوحدات اللغوية التي تشغل موقع المسند مع الوحدة اللغوية ( الشعب الفلسطيني ) أفعالاً معبرة عن الصمود والتصدي والثبات على الموقف ، في إشارة إلى رد الفعل الذي يستند إلى الحق الفلسطيني في الدفاع عن نفسه بأدواته البسيطة ، كالحجارة والمظاهرات والإضرابات وغيرها ، ومن هذه الأفعال : يتمسك بحقه ، يتصدى للعدوان ، يدافع عن نفسه ، يعبر عن رفضه ، يناضل من أجل حقوقه ، يضحي ، يصمد ...الخ ، أما الصفات التي تشغل هذا الموقع فهي من مثل : قادر ، صامد ، مرابط ، مصمم ، موحد ، عازم ...الخ .

وبعد اتفاقية السلام بين منظمة التحرير وإسرائيل وإنهاء الانتفاضة حلَّت ( السلطة الفلسطينية) محل الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية في الاستخدام اللغوي فترة لا تقل عن خمس سنوات ، وكانت الأفعال المسندة إليها تعبر عن القدرة والكفاءة مثل : تستطيع ، تعتمد على ، تنظم ، توفر ، تستمع ، تعبر ، تساهم ، تلتزم ...الخ أما الصفات فهي : مستعدة ، متعاونة ، متجاوبة ، قادرة ، ملتزمة ، ليست عاجزة ...

ومن الملاحظ أن التحول السياسي في الواقع الفلسطيني قد أفرز تحولاً في الوحدات اللغوية التي تمثل الخطاب السياسي؛ لتصبح أكثر ملاءمة مع حالة التنسيق والتفاوض والاعتراف الدولي بالوجود الفلسطيني الذي اعتمد على إعادة الحقوق عبر القرارات الدولية وطاولة المفاوضات .

أما بعد انتفاضة الأقصى عام 2000م ، وما صحبها من إعادة احتلال الضفة الغربية وتنكر إسرائيل للاتفاقيات المبرمة فقد حاول الخطاب السياسي الفلسطيني أن يستعيد ثقته وأن ينهض من جديد ، وذلك بالعودة إلى ألفاظ الحشد والتحريض ، فكان الشعب ضماناً لشرعية الخطاب وشموليته ، فعاد الخطاب السياسي الفلسطيني إلى ( الشعب الفلسطيني ) يستمد منه قوته ، فأخذت هذه المفردة تنازع ( السلطة الفلسطينية ) حيز وجودها ، وكانت الأفعال المسندة إليها تتسم بالصمود والثبات ، مثل : يتحدى ، يتمسك ، يواجه ، يقاوم ، يجابه ...الخ . أما الصفات التي شغلت موقع المسند فهي : محاصر ، صامد ، عازم ، مصمم ، مؤمن ، عريق ، أصيل . مع الإبقاء على بعض الصفات التي لازمت المرحلة السابقة من مثل : اليد الفلسطينية ممدودة للسلام ، الشعب الفلسطيني تحمل أعباء المسيرة السلمية ، التوجه الفلسطيني دائم وثابت .

**إسرائيل**

إسرائيل هي الاسم الذي دأب المحتلون على ترسيخه في الأذهان ، اختاروه لدلالته الدينية والتاريخية لديهم ، وقد كان لهم ذلك على المستويين الدولي والإقليمي . أما المفردات التي تتقاطع معها على المستوى الاستبدالي في الخطاب السياسي الفلسطيني فهي : الصهاينة ، اليهود ، العدو ، المحتل ومشتقاتها وما تتضام معه ( دولة الاحتلال ،قوات الاحتلال ، جيش الاحتلال ، حكومة الاحتلال ) بالإضافة إلى مصطلح سياسي جديد ظهر في ظروف خاصة سنتحدث عنها في موضعها من هذا البحث ، وهو مصطلح ( الطرف الآخر ) أو ( الجانب الآخر ) .

لقد شاع استخدام الصهاينة و العدو الصهيوني والكيان الصهيوني للدلالة على إسرائيل طوال فترة النضال الفلسطيني المسلح ، لما لذلك من دلالة على عنصرية هذا الكيان وعدم شرعيته وتحالفه مع الاستعمار ، وقد رسخ هذا الاستخدام في الأذهان حتى عند حذف الصفة والاكتفاء بالموصوف ، فالعدو هو الصهيوني والكيان هو الصهيوني ، والصفة والموصوف متلازمان ، ولكن كل منهما قد يحذف بدلالة القرينة (31 ) . أما اليهود فكانت أقل استخدامًا بسبب ظلالها الدينية ، وقد يفسر استخدامها في حقل الصراع بأنه صراع ديني ، وإن كان الأمر كذلك ، إلا أن القيادة الفلسطينية كانت بحاجة إلى المساندة والدعم والتأييد من المجتمع الدولي ، وكثير من دوله من النصارى ، فكان الخيار تنحية الصراع الديني ، هذا بالإضافة إلى أن بعض قيادات وكوادر المنظمات الفلسطينية كانوا من غير المسلمين . لكن هذه المفردة لم تغب عن وعي الإنسان الفلسطيني أو العربي ، فكان وما زال يستخدمها للدلالة على إسرائيل ، وربما كان مرد ذلك إلى ما استقر في أذهان المسلمين من عداء هؤلاء القوم للأنبياء وقتلهم إياهم ، وما اعتادوا عليه من غدر وخيانة طوال التاريخ . أما كلمة إسرائيل فقد أخذت تتلمس خطاها في الخطاب السياسي الفلسطيني بعد خروج المنظمة من لبنان عام 1982 م وظهور بوادر مفاوضات سلمية مع إسرائيل ، وإن كان أثر اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية عام 1977 م قد أرخي بظلاله في هذه المسألة ، حيث شاع لفظ إسرائيل في الإعلام المصري ، فمهد لهذه المفردة أرضية ملائمة للظهور . وكانت الخطوة الأولى لاستخدام إسرائيل في الخطاب السياسي الفلسطيني هو استخدامها مصحوبة بكلمة الاحتلال ، ثم توارت كلمة الاحتلال واكتفى الخطاب بكلمة إسرائيل . وبعد أن ألغيت الصهيونية من قائمة الحركات العنصرية عام 1991م اختفت هي ومشتقاتها . بل حتى عندما أجرمت إسرائيل ، وارتكبت المذابح ضد الفلسطينيين والعرب في بداية انتفاضة الأقصى عام 2000م وتنكرت لكل الاتفاقيات المبرمة مع الفلسطينيين، واحتاج الخطاب السياسي إلى التصعيد لم تنعت إسرائيل في الخطاب السياسي الفلسطيني الرسمي

بالصهيونية ، وإنما ارتبطت المعاني السلبية بكلمة إسرائيل ، مثل : الانحراف الإسرائيلي ، الحصار الإسرائيلي ، العدوان الإسرائيلي ، العقبات الإسرائيلية ، الغزو الإسرائيلي ، التشدد الإسرائيلي ، الانتهاكات الإسرائيلية ، القمع الإسرائيلي ... الخ .

أهم المواقع الإعرابية لإسرائيل وبدائلها :

1- موقع المسند

احتلت الوحدات اللغوية الدالة على إسرائيل موقع المسند إليه في جل السياقات اللغوية التي وردت فيها داخل الخطاب السياسي الفلسطيني في بدايات الفترة الأولى ؛ فهي الطرف الصانع للأزمة وهي المحتلة للأرض العربية ، وبالتالي فإن كل ما يجدّ على الساحة من أحداث مبني على حالة الفاعلية التي أنتجتها إسرائيل ، وحالة الأمر الواقع التي فرضتها . وللمحافظة على الإنجاز المزعوم تبنت حكومات إسرائيل مبدأ استمرار حالة الهجوم ، ودفع خطوط المواجهة بعيدًا عن كيانهم ، فكان الكيان الصهيوني يحتل مواقع مؤثرة في الجملة توازي مواقعه المؤثرة في معادلة الصراع العربي الإسرائيلي ، واستمرت هذه الحالة حتى ظهر الفعل الفلسطيني المقاوم والمؤثر وأخذ ينازع الكيان الصهيوني على مستوى المبادرة في واقع الصراع ، وعلى مستوى الصياغة اللغوية ، وقد تجلت ذروة ذلك في فترة الانتفاضة الأولى . أما الوحدات اللغوية التي شغلت موقع المسند عندما كان الكيان الصهيوني مسندًا إليه فهي أفعال وصفات تحمل دلالات في غاية السلبية ، مثل : ( الأفعال ) يقتل ، يعدم ، يدمر ، يقصف ، يعتقل ، يتواطأ ، يتجسس على ، والصفات مثل : مجرم ،مستعد للقتل ، مغتصب ، متغطرس ... الخ .وبعد أن حققت الانتفاضة الأولى مكاسب سياسية على مستوى التعاطف الدولي ، وهو تعاطف كانت القيادة الفلسطينية تسعى إليه ، وبخاصة إذا كان من الحكومات الغربية ، كان لا بد من مخاطبة العالم بلغة تستجيب للحالة السياسية ، ومن هنا ظهرت مفردة ( إسرائيل ) بوصفها دالاً على الكيان الصهيوني ، مع إسناد الأفعال والصفات السلبية السابقة إليها، بالإضافة إلى أفعال وصفات سلبية جدت على السطح ، منها : تهدم ، تقتحم ، تعذب ، ترتكب عدوانًا ، تعتقل ، تنفي ، تطارد . والصفات : مجرمة ، محتلة ، خارجة عن القانون ...

أما في المرحلة الثانية وهي مرحلة اتفاقية أوسلو فقد حلت فيها مفردة ( إسرائيل ) محل الكيان الصهيوني تمامًا ، وأسندت إليها مفردات تحمل معاني فيها قدر من الإيجابية ، كالمشاركة والتنسيق والتعاون . غير أن إسرائيل دأبت على المراوغة والخداع ، فتنصلت – في كثير من الأحيان – من التزاماتها، الأمر الذي وضع الفلسطينيين في حالة صراع بين موقفين ؛ فمن ناحية الفلسطينيون مضطرون إلى الالتزام بالإطار العام لاتفاقية أوسلو ، ومن ناحية أخرى هناك

حالة من الجمود في تنفيذ الاتفاقات الموقعة ، بالإضافة إلى التجاوزات المستمرة التي تقوم بها إسرائيل بحق الفلسطينيين بما فيهم عناصر السلطة ، وقد انعكس هذا الصراع على لغة الخطاب السياسي ، فكانت الوحدات اللغوية التي تسند إلى إسرائيل تحمل معاني سلبية ، ولكنها أقل سلبية مما كان شائعًا قبل مرحلة عملية السلام ، فأسندت إليها أفعال مثل : انحرفت عن الشرعية ، تملي شروطها ، تصنع العقبات ، تتنكر للاتفاقيات ، تواصل الاستيطان ، غير جادة ، لم تتغير . وفي هذه الأوقات ظهر بديل لغوي للمفردة ( إسرائيل ) وهو الشعب الإسرائيلي ، في إشارة إلى تجاوز السلبيات التي تقوم بها حكومتهم ، فأخذنا نسمع عن مستقبل الشعبين ، وعن الشعب الإسرائيلي المحب للسلام ، وعن الدولتين المتجاورتين ...وهكذا

وفي مرحلة انتفاضة الأقصى أخذت المواجهات الدامية ، والمجازر اليومية التي ترتكبها إسرائيل تفرض نفسها فتدفع الخطاب السياسي إلى التصعيد ، فكانت إسرائيل ، وحكومة الاحتلال ، وقوات الاحتلال تتبادل المواقع فيما بينها ، ويسند إليها مفردات تحمل معاني القسوة والإجرام ، مثل : ارتكبت عدوانًا ، تعيث في الأرض فسادًا ، تطلق النار ، تقصف الأحياء ، تجرف المزارع ، تقتل الأطفال والنساء والشيوخ ، تهدم البيوت ...الخ . ثم عند الحديث عن أمل مستحيل يسمى اتفاقية سلام لم يستطع الخطاب السياسي أن يقدم لنا إسرائيل باسمها ، ولم يستوعب الفلسطينيون عبارة الشعب الإسرائيلي بعد كل ما قامت به من إجرام ، أعاد إلى الذاكرة سجلها المترع بالجرائم ، فكان البديل هو عبارة ( الطرف الآخر ) وأكثر ما كانت تستخدم هذه العبارة للدلالة على إسرائيل في الظروف التي تستدعي الحديث عن الاتصال بإسرائيل في قضايا ترتبط بمصالح الجماهير التي تتحكم فيها إسرائيل .

2- موقع الصفة

لقد ذكر الأشموني أن " النعت متمم للمنعوت يرفع اشتراكه واحتماله بدلالته على معنى في المنعوت أو في متعلقه " ( 32 ) ، والمراد بتتميم المنعوت إفادة ما يطلبه المنعوت بحسب المقام من توضيح أو تخصيص أو مدح أو ذم أو ترحم أو توكيد أو إبهام أو تخصيص . يقول سيبويه : " فرب اسم لا يحسن عليه عندهم السكوت حتى يصفوه ، وحتى يصير وصفه عندهم كأنه به يتم الاسم " ( 33 ) ، والإيضاح رفع الاحتمال في المعارف ، والتخصيص تقليل الاشتراك في النكرات(34) . ومن هنا فإن لفظ إسرائيل بوصفها صفة لوحدة لغوية سابقة يظهر لنا الإطار الدلالي الذي تمثله هذه الوحدات اللغوية الموصوفة بكلمة إسرائيل، فنقف على المضامين التي يسعى الخطاب السياسي الفلسطيني إلى ربطها بإسرائيل . ومن خلال العينات المأخوذة من الصحف الفلسطينية اتضح أن الوحدات اللغوية التي وصفت بكلمة (إسرائيل ) خلال الانتفاضة

الأولى كانت تحمل معاني العدوان مثل : القمع الإسرائيلي ، الرصاص والقذائف الإسرائيلية ، العدوان الإسرائيلي، الغزو الإسرائيلي السجون الإسرائيلية . أما في مرحلة اتفاقية أوسلو فكانت الوحدات اللغوية التي توصف بها إسرائيل تحمل دلالات محايدة مثل : الموقف الإسرائيلي ، الإجراءات الإسرائيلية ، الحكومة الإسرائيلية ، الجيش الإسرائيلي ، المفاوض الإسرائيلي ، ثم يتصاعد الخطاب في أوقات الأزمات ، فنسمع عن : العقبات الإسرائيلية ، التشدد الإسرائيلي ، الاحتلال الإسرائيلي ، الانتهاكات الإسرائيلية . ويستمر تصاعد الخطاب إلى أن يبلغ ذروته في مرحلة انتفاضة الأقصى فتعود المفردات التي كانت تستخدم قبل عملية السلام .

ويبدو لنا أن االتراكيب الوصفية تحمل في بنيتها السطحية بنية عميقة مكونة من مسند ومسند إليه ، فعندما نقول : العدوان الإسرائيلي الغاشم . فإن البنية العميقة لهذا التركيب هي ( العدوان إسرائيلي ) ولما أصبح العدوان سجية وعادة عند الإسرائيليين ، تحول الخبر إلى صفة ، واحتجنا إلى خبر جديد ، فأصبحت الجملة ( العدوان الإسرائيلي غاشم ) ثم حدث للخبر ( غاشم ) ما حدث للخبر الأول ، فأصبح صفة، ليفتح المجال إلى خبر جديد ، وهكذا يمكن أن تطول الضميمة اللغوية إلى أقصى حد ممكن . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن وصف الاحتلال بالغاشم ، لا يفيد توضيحاً ولا تخصيصاً ، فليس هناك احتلال غاشم وآخر غير غاشم ، وإنما الاحتلال دائماً غاشم ، وبالتالي تحمل مثل هذه التراكيب الوصفية معنى الذم ، كما في قوله تعالى : " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " فالنعت قد يكون لمجرد المدح ... أو لمجرد الذم ... أو للترحم ... أو للتوكيد ( 35 )، ويدرس علماء اللغة مثل هذا النوع من التراكيب في باب المصاحبة اللفظية ( 36 ) .

**أمريكا**

الولايات المتحدة الأمريكية من أهم الأطراف الدولية المؤثرة في الأحداث العالمية ، والأكثر تأثيراً في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي ، فقد انحازت دوماً لإسرائيل ، وتبنت مواقفها العدوانية على الدول العربية، حتى ارتبط اسمها في ذهن المواطن العربي بمعاناة الشعب الفلسطيني ، بل بمعاناة معظم الشعوب العربية . غير أن التفوق العسكري الأمريكي على مستوى العالم ، وتقدمها في مجال المنجزات المادية فرض مواقفها على كثير من دول العالم ، بالإغراء تارة ، وبالتهديد تارة أخرى ، فاستجابت حكومات كثيرة في العالم ، وسلمت بالأمر الواقع ، وتماهت مع المواقف الأمريكية بطريقة أو بأخرى ، حتى أن دولاً عربية مؤثرة في المنطقة دارت في هذا الفلك بدرجات متفاوتة ، الأمر الذي جعل الفلسطيني يتأرجح بين مقاومة الأمريكي بوصفه عدوً ا مباشراً – وهذا أمر سيكلف الفلسطينيين ثمناً باهظاً – وبالتالي نعته بصفات

الإجرام والظلم ومصادرة الحريات ، وبين اللجوء إلى كظم الغيظ ، وتحمل آلام الجرح النازف ومرارة الواقع المؤلم ، والقبول بما يقدمه الأمريكان للفلسطينيين ولو من باب تقليص الضرر . وقد تجلى هذا التأرجح في المواقف الفلسطينية من أمريكا ، فهي إمبريالية استعمارية في زمن المواجهة المكشوفة ، وأمريكا ، وراعي السلام ، والوسيط الأمريكي ، في زمن اضطرت فيه الضحية أن تبتسم لجلادها .

وما يهمنا في هذا البحث هو أن نرصد البنى اللغوية التي يستخدم فيها لفظ (أمريكا ) وبدائلها في حقل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي على اختلاف المراحل؛ لنقف على التحولات السياسية في موقف الفلسطينيين من الدور الذي تمارسه أمريكا، وانعكاس ذلك على نوعية الخطاب الرسمي الفلسطيني من خلال اللغة المعبرة عن هذا الخطاب .

الوحدات اللغوية المعبرة عن الولايات المتحدة الأمريكية خلال مرحلتي عملية السلام ، وانتفاضة الأقصى هي : الولايات المتحدة الأمريكية ، أمريكا ، الدولة العظمى ، راعي السلام ، الوسيط الأمريكي ، الإدارة الأمريكية الأمريكان . وتعد الصيغة ( أمريكا ) أكثر الصيغ استخداماً ، وهي الشكل الصياغي المختصر للاسم الطويل ( الولايات المتحدة الأمريكية ) على الرغم من أن كلمة أمريكا تضم عملياً قارتين كبيرتين ودولاً كثيرة غير الولايات المتحدة ، وهذا يعود – على ما أعتقد – إلى أن الأثر الذي أحدثته الولايات المتحدة على مستوى العالم بعد الحرب العالمية الثانية وأثناءها جعلها تمتص الآخرين وتعيد تشكيلهم من جديد ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ، ولم يعقها أن تبتلع المسمى الذي يشاركها فيه الآخرون من دول الأمريكتين ، وتنفرد به . ثم إن كثرة الاستخدام والتداول لاسم هذه الدولة أثر في تقليص الاسم الطويل رغبة في تقليل الجهد المبذول ، فكان اختصار هذا الاسم إلى وحدة لغوية واحدة ، هي أمريكا .

ولما كانت أمريكا تهيمن على كثير من دول العالم ، وتحتكر مفاتيح الملفات الساخنة ، خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي واختلال موازين القوى الدولية لصالحها ، فقد مال كثير من الأنظمة – ومن بينها السلطة الفلسطينية – إلى مغازلة هذه الدولة ، إما اتقاء لشرها، وإما طمعاً في وقوفها إلى جانبهم في الأزمات ، وقد ظهر ذلك من خلال استخدام الوحدات اللغوية التي تتبادل المواقع مع أمريكا في الخطاب السياسي الفلسطيني في الفترة التي سبقت انتفاضة 1987م ، ثم الأفعال والصفات المسندة لها على المستوى الأفقي للصياغة ، فعلى المستوى الأول تقاطعت مع أمريكا وحدات لغوية تحمل معاني الغطرسة والظلم ، فكان إطلاق لفظ الامبريالية العالمية يوجه الأنظار مباشرة إلى أمريكا ، ويسند إليها أفعال وصفات سلبية ، مثل : تحتقر ، تسطو ، تعادي ،تتجاهل، تمارس التمييز العنصري ، متغطرسة ، متمادية، ضد الشعوب... . أما في مرحلة

انتفاضة 1987م فقد أطلق على أمريكا اسم الدولة العظمى وهذا الاسم يحمل معنى القوة والعظمة ، وبقي هذا الاسم مستخدماً خلال مرحلة السلام فبعد أن أضيف إليه أسماء أخرى تحمل معاني إيجابية، مثل : راعية السلام ، الوسيط الأمريكي . وتبدو رغبة الفلسطينيين واضحة في أن تكون أمريكا على مسافة واحدة من الطرفين : الفلسطيني ، والإسرائيلي . أما الأفعال والصفات المسند إلى كلمة (أمريكا ) وبدائلها في هذه الفترة فكانت أفعالاً وصفات إيجابية ، مثل : تبذل جهوداً ، تقدم العون ، تراقب تطبيق الاتفاقات ، تهيئ الأجواء ؛ ملتزمة ، متعاونة معنا ، متفهمة لمواقفنا .

غير أن الانحياز الأمريكي الأعمى لإسرائيل خلال مرحلة انتفاضة الأقصى – بل أكثر من ذلك تقوم أحياناً بتحريض إسرائيل لاتخاذ مواقف أكثر تشدداً – أوجد حالة من التململ في الأوساط الفلسطينية الرسمية . ومن الواضح أن مرحلة انتفاضة الأقصى اتسمت بالصراع الحاد بين الفلسطينيين وإسرائيل ، وقد دخلت السلطة الفلسطينية في خضم هذا الصراع ، فصبت إسرائيل جام غضبها على السلطة ورئيسها ، حتى انتهى الأمر إلى استشهاد الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ، وإعادة احتلال مناطق واسعة من الضفة الغربية كانت تحت سيادة السلطة الفلسطينية ، فتسللت إلى خطاباتهم عبارات النقد والحذر والشك للسياسة الأمريكية ، فخيارات الفلسطينيين كانت محدودة ، وخيوط المؤامرة بدت واضحة ، وليس أمامهم إلا النقد الخجول للموقف الأمريكي الذي ترك إسرائيل تنفرد بالفلسطينيين ،

لم يغب الاسم ( أمريكا ) بوصفه الوحدة اللغوية المركزية من الخطاب السياسي الفلسطيني أثناء فترة التسعينيات وبعد انتفاضة الأقصى ، غير أن بدائل أخرى أخذت تزاحم هذه المفردة في فترة الانتفاضة ، مثل : الإدارة الأمريكية ، إدارة بوش ، الرقيب الأمريكي ، الأمريكان ، الولايات المتحدة . أما الأفعال والأوصاف المسندة إليها فكانت تحمل دلالات سلبية بعيدة عن ألفاظ التهجم المباشر ، رغبة من السلطة الفلسطينية في الإبقاء على إمكانية عودة الإدارة الأمريكية إلى ممارسة نشاط سياسي في عملية السلام وإنقاذ ما يمكن إنقاذه ، وهذه الأفعال والصفات من مثل : الولايات المتحدة لا يمكن أن تلعب دور الوسيط النزيه . لا زالت تصر على رفض التعامل . باركت التوتر . تعبر عن موقف إسرائيل . مطالبة بالقيام بمسؤوليتها . غير مستعدة للضغط على إسرائيل . تنكرت لمبادئها . تمارس ضغوطاً على الفلسطينيين . تدعم السياسة الإسرائيلية . تستخف بالأمة العربية . تكيل بمكيالين . تقف في وجه الشرعية الدولية .

وقد تبين أن أغلب الوحدات اللغوية المسندة إلى أمريكا وبدائلها هي أفعال ، وبخاصة الأفعال المضارعة ، وهذا يشير إلى الأثر الواضح لأمريكا في سير الأحداث . أما عندما كانت الوحدة

اللغوية ( أمريكا ) في موقع الصفة ، فقد ارتبطت بوحدات لغوية ذات قيم سلبية ، مثل : الصلف الأمريكي ، العنجهية الأمريكية ، الانحياز الأمريكي ، التواطؤ الأمريكي ، العدوان الأمريكي ، التدخل الأمريكي ، الضغوط الأمريكية .

**السلام**

السلام اسم من أسماء الله الحسنى ، والسلام في معناه العام الطمأنينة والأمن ، وهو مطمح كل شعوب الأرض ، هكذا يفهم كل من يسمع هذا الاسم ( الصفة ) غير أن يد الإنسان التي امتدت إلى الكثير من مفردات هذا الكون بالإفساد لم تتورع في تزييف المعاني وإفراغ الألفاظ النبيلة من مضامينها الحقيقية ، فالسلام يعني رضا الطرفين عن مستوى من العلاقة المتوازنة التي تعود بالنفع عليهما معاً ، فيستظل الجميع بظلاله الوارفة ، وينعم الناس في كنفه بالأمن والطمأنينة ، فهل سلام اليوم مع إسرائيل قائم على العدل والمساواة ؟ أو أن فيه شيء من العدل ؟! .. نستطيع بكل بساطة أن نقول : إنه سلام مصنوع على القياس الأمريكي الصهيوني ، ومفروض على الأمة العربية بالقوة!!

إن القادة العرب يفهمون معنى السلام جيداً ، ويدركون ما ترمي إليه أمريكا وإسرائيل من الدعوة إلى السلام ، كما يعون أيضاً ما هم عليه من فرقة أدت إلى إضعافهم وتجرؤ كثير من خصومهم عليهم ، وهم على يقين أيضاً بأن السلام مع إسرائيل في ظل المعطيات القائمة هو سلام غير عادل ، ولكن رغم ذلك فإن العرب والفلسطينيين وجدوا أنفسهم مدفوعين إلى التعاطي مع مفهوم السلام المأمول ، على اعتبار أن السلام معركة ، تقوم فيها إسرائيل بفرض شروطها وإملاءاتها ، ملوحة بين الحين والآخر بقوتها العسكرية ، ومستخدمة نفوذها لدى أمريكا وبعض دول أوروبا ، وفي المقابل يقوم الطرف العربي بدفع مفهوم السلام نحو المنطقة المحايدة التي شهدت ولادة الدلالة الحقيقية لهذه المفردة . إذن هي معركة السلام التي يخوضها الطرف العربي مع إسرائيل ، حيث يتوقع أن تحسم نهايتها بالنقاط ، لا بالضربة القاضية ، إلى أن يمن الله علينا بنصر حقيقي نحرر فيه أرضنا ونستعيد كرامتنا . ووسط هذه المعركة تتحرك كلمة ( السلام ) خفيفة نشطة في بعض الأحيان ، ومتعبة متثاقلة تنوء تحت عبء المعاني التي تفرضها عليها الأطراف المعتدية في أحيان أخرى ، ولذلك أصرّ الطرف الفلسطيني على معاني السلام الحقيقية ، وقد ظهر ذلك من خلال المفردات التي ارتبطت بهذه اللفظة على المستوى الأفقي في الخطاب السياسي الفلسطيني ، مثل : السلام العادل والشامل . السلام القائم على العدل . سلام الشجعان . السلام الدائم ، السلام الذي يعيد الحقوق إلى أصحابها . أما القيم التي ارتبطت بكلمة السلام في الخطاب السياسي الفلسطيني فهي : الانسحاب الكامل . إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة . السيادة

. عودة اللاجئين . تحرير الأسرى . الحرية . الاستقلال . التعمير . المساعدات . الدعم . الشرعية . الأمن والحقوق . في حين أن القيم التي ارتبطت بكلمة السلام من وجهة النظر الإسرائيلية هي : التعاون ، التنسيق ، التسهيلات ، القضاء على الإرهاب ، إعادة الانتشار ، تنازلات مؤلمة . وهنا يظهر الفرق في رؤية كل من الفلسطينيين والإسرائيليين للسلام ، فالسلام من وجهة نظر الفلسطينيين يحقق لهم الاستقلال، في حين أن الجانب الإسرائيلي يرى أن مفهوم السلام يعني أن يكون للفلسطينيين إدارة محلية مرتبطة بالاحتلال لتسيير شئون الحياة اليومية ، تحت شعار ما يسمى بالتعايش المشترك مع جيراننا.

أما على المستوى الرأسي الاستبدالي فإن مفردة السلام بما تحمله من دلالة مركزية ضاربة بجذورها في أعماق النفس البشرية لم تترك مساحة لمفردات أخرى لكي تنازعها موقعيتها وتحتل مكانها إلا في القليل النادر ، مثل كلمة ( تسوية ) وذلك بعد أن بدا الحديث عن السلام أمراً لا يحظى بالترحيب من قبل الشارع الفلسطيني أو العربي، نتيجة المواقف الإسرائيلية المتعنتة وإصرارها على الخداع والمراوغة . أما مفردة السلام فقد بقيت تحتل موقع الصدارة على المستوى الاستبدالي مع تغير طفيف ، إذ تحولت من كلمة واحدة إلى تراكيب لغوية يفصح ركنها الثاني عن مدي التغير الذي أصاب مدلول كلمة السلام ، وهذه التراكيب هي : ( مشروع السلام ) وذلك في إشارة إلى أن السلام أصبح عملاً تخطيطياً ، وربما انتسب إلى حقل الأعمال الاستثمارية ، ( عملية السلام ) في إشارة إلى أن السلام مازال في حاجة إلى عمل حتى ينجز ، ( مسيرة السلام ) في إشارة إلى أن الطريق طويل وشاق .

وبسبب الاستهلاك المستمر لمفردة السلام على امتداد عقدين من الزمن جرى خلالهما العمل التفاوضي مع إسرائيل دون نتائج يعتد بها فقد فقدت كثيراً من شحنتها الدلالية ، وأصبح لفظ السلام يثير السخرية عند الكثيرين ، فغابت هذه المفردة عن كثير من السياقات اللغوية التي يستخدمها القادة الفلسطينيون في خطاباتهم السياسية ، مكتفين بالألفاظ التي جاورتها فترة من الزمن فاكتسبت منها ظلالاً من المعاني تكفي للإحالة إليها ، فمفاوضات السلام أصبحت ( المفاوضات ) واتفاقية السلام أصبحت ( الاتفاقية ) أو ( الاتفاقيات الموقعة ) ثم أصبحت ( اتفاقية أوسلو ) أو ( أوسلو ) هكذا .. دون كلمة اتفاقية ، أو حتى سلام !! ولما توالت الاتفاقيات الجزئية ، أصبحنا نسمع اتفاقية ( واي ريفر ) واتفاقية ( شرم الشيخ ) و ( طابا ) دون كلمة سلام . ثم انزوت كلمة ( الاتفاقيات ) مفسحة المجال لأحدى بدائلها وهي كلمة ( تفاهمات ) .

وهنا نلمس بوضوح أن المفردات قد فقدت قوتها وأصبحت جدباء عقيمة في مغزاها وتأثيرها ، فلم تستطع أن تثير في النفس ما أثارته في زمن سابق ، وذلك لأن الظروف التي انبثقت منها مثل هذه المفردات قد فقدت فاعليتها وزال تأثيرها ( 37 ) .

**الدول العربية**

لقد عايشت الدول العربية كل مراحل القضية الفلسطينية ، واكتوت بنارها ، بل إن قضية فلسطين هي في الأساس قضية عربية ، خاض العرب من أجلها حروباً عدّة فاستنزفت كثيراً من مواردهم وشغلتهم ردحاً من الزمن عن مسارات التنمية ، وكانت سبباً في كثير من الخلافات بين حكام تلك الدول ، ثم بين بعض الحكام العرب من جهة ومنظمة التحرير الفلسطينية من جهة أخرى، إلى أن استقر الحال على أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني في مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز الذي عقد في الجزائر عام 1973م ، فنفضت كثير من الدول العربية يدها من هذه القضية ، واكتفي عدد منها بتقديم بعض المساعدات المادية أو المعنوية ، فحمل الفلسطيني تركة ثقيلة وعبئاً تنوء بحمله دول بكامل إمكاناتها . وبرغم ذلك لم يشأ الطرف الفلسطيني أن ينقطع عن محيطه العربي ، فكانت العلاقة بين قيادة منظمة التحرير والحكام العرب محكومة بسياسات قائمة على جملة من التعقيدات المرتبطة بعلاقة الحكام العرب بعضهم ببعض ، وقرب أو بعد قيادات المنظمة من هذا الحاكم أو ذاك ، وهو أمر كان ينعكس على وجود الفلسطيني في تلك البلدان، والتعامل معه سلباً أو إيجاباً . أما الخطاب السياسي الفلسطيني تجاه الدول العربية فكانت تحكمه الظروف السياسية المرحلية .

فعبارة ( الدول العربية ) هي العبارة المركزية التي سادت في التسعينيات من القرن الماضي وفي أوائل القرن الحالي بعد انحسار عبارة ( الأمة العربية ) التي كانت توحي بمفهوم الوحدة العربية أثناء المد القومي ، وهذا الانحسار كانت تتحكم فيه رؤى وأيدلوجيات تتبناها بعض الدول العربية رغبة في النأي بنفسها عن تحمل مسئوليتها التاريخية تجاه فلسطين ، إلا أن هذه العبارة ، أي عبارة ( الأمة العربية ) بقيت حاضرة في ساحة الخطاب السياسي الفلسطيني ، ولم تغب في أي مرحلة من مراحل الصراع مع إسرائيل . أما البدائل التي تدخل مع ( الدول العربية ) في علاقة استبدالية في الخطاب السياسي الفلسطيني فكانت إفرازاً للظروف السياسية ، ففي أوقات الأزمات بين الفلسطينيين وبعض الحكام العرب كان الجانب الفلسطيني يركز على ( الشعوب العربية ) في إشارة إلى أن هذه الشعوب مع القضية الفلسطينية بخلاف ما يصدر عن حكامهم ، وإن اضطر أن يعبر عن الرؤساء العرب فإنه يستخدم ( الأنظمة العربية ) أو ( الحكام العرب ) أما عبارة ( الحكومات العربية ) فكان استخدامها يزداد في الأوقات التي كانت فيها هذه

الحكومات صاحبة قرار في التضييق على الفلسطينيين في أراضيها . ثم بدا للفلسطينيين ضرورة عدم الاكتفاء بالجانب العربي في دعم قضيته فوسع من خياراته السياسية باستدعاء مناصرين جدد للحقوق الفلسطينية ، كانوا قد تغيبوا عنها عشرات السنين ، وهم الأمة الإسلامية ، فأضيفت هذه العبارة إلى الأمة العربية ، وأصبح الخطاب السياسي الفلسطيني يستنهض الأمتين العربية والإسلامية ، وقد يضاف إليها على سبيل التوسع دول عدم الانحياز ، والعالم والحر ، ومحبو السلام في العالم . أما عندما تستقيم العلاقة بين الطرفين ، الفلسطيني والعربي على مستوى القيادات ، فكان الخطاب السياسي الفلسطيني يؤثر عبارة ( الأخوة العرب ) أو ( الأشقاء العرب ) للدلالة على أن العرب جميعاً أخوة وأشقاء وعليهم أن يكونوا جسداً واحداً في مواجهة التحديات ، وبخاصة التحدي الصادر من إسرائيل، وفي بعض الأحيان كانت تستخدم مثل هذه العبارات لاستدرار العطف في أوقات الشدة والأزمة مع الاحتلال ، ثم ( الوطن العربي ) في إشارة واضحة إلى وحدة الأرض العربية ، و (العالم العربي ) التي تظهر مدى الإمكانات المتاحة للعرب على كل المستويات ، الأمر الذي سوغ استخدام كلمة ( العالم ) للدلالة على الأرض العربية بسكانها .

وبالنظر إلى الوحدات اللغوية التي تشغل موقع المسند عندما تكون ( الأمة العربية ) أو ( الشعوب العربية ) في موقع المسند إليه نجد أنها تحمل معاني العطاء والصمود ، سواء أكانت صفات أم أفعالاً ، مثل : أمة حية ، معطاءة ، أصيلة ، قادرة ، تدعم مواقفنا، ثقف معنا ، تستطيع فعل الكثير . كما أن عليها واجب لا بد أن تقوم به، وهنا تسند إليها معاني التكليف ، مثل : عليها أن تتنبه ، لا بد أن تأخذ دورها ، بيدها زمام المبادرة .

وقد لوحظ أن عبارتي ( الأمة العربية ) أو ( الشعوب العربية ) قد احتفظتا بالصفات والمعاني الإيجابية في كل السياقات اللغوية التي وردت فيها ، ولم تتأثر مكانتهما بحالات المد والجزر التي كانت ترخي بظلالها على العلاقات العربية العربية ؛ فعبارة ( الأمة العربية ) مشحونة بدلالات تاريخية ودينية أسهمت في تشكيل الوجدان العربي عبر المراحل التاريخية المتعاقبة ، وكذلك ارتبطت عبارة ( الشعوب العربية ) بالثورات العربية على المستعمر . فإن كان هناك تقصير من العرب فهو تقصير من الحكومات العربية ، وإن زاد هذا التقصير ، وتجاوز حدود الصبر ، واحتاج أن يسند إليه صفات سلبية فإن الأنظمة العربية هي اللفظ المناسب لهذه الصفات السلبية . أما كلمة ( العرب ) فإنها تلازم الحكام ، سواء أكان بالتلازم المباشر ، كأن يقال : الحكام العرب ، والقادة العرب ، والرؤساء العرب ، والزعماء العرب ، أو بالوصف ، مثل : الأشقاء العرب ، الأخوة العرب .

أما عبارة ( الوطن العربي) التي تشير إلى وحدة الأرض العربية فقد كانت تسند إليها معان تدل على الحذر والتنبيه طوال الوقت ، من مثل : تحدق به تحديات ، يعيش حالة التشتت ، عمق استراتيجي للموقف الفلسطيني .

بقي أن نشير إلى أن كلمة ( عربي ) أو ( عربية ) كانت قبل اتفاقية أوسلو ترد في الغالب وصفاً لوحدات لغوية تحمل مضامين سلبية ، مثل : الضعف العربي ، التواطؤ العربي ، الانقسام العربي ، الخلافات العربية . وبعد اتفاقية أوسلو أصبحت المضامين أكثر إيجابية ، فأخذنا نسمع عبارات مثل : التواجد العربي ، الدعم العربي ، الدور العربي ، التعاون العربي ، الجهود العربية ، التقارب العربي ، المصالحة العربية . ثم أثناء انتفاضة الأقصى تحول الخطاب السياسي الفلسطيني في حديثه عن العرب إلى استخدام مفردات سلبية بطريقة غير مباشرة ، مثل : الضغط العربي على الفلسطينيين ، التقاعس العربي ، التراخي العربي ، وغيرها .

**الخاتمة**

لا يخفى على أحد أن الفلسطينيين لم يكونوا راضين عن المواقف العربية تجاه قضية فلسطين بعد مرحلة الرئيس جمال عبد الناصر ، ولم يكن بوسعهم ولا في مصلحتهم مناصبة العداء للحكام العرب ؛ فالمحيط العربي هو الساحة الأنسب للتواجد الفلسطيني ، ورغم ذلك فإن قادة منظمة التحرير وجدوا أنفسهم في بعض الفترات في أتون صراع مع بعض الأنظمة العربية ، فكانت النتائج كارثية على الشعب الفلسطيني ، إلا أن السياسيين يجدون ضالتهم دائماً في إخفاء نواياهم ومواقفهم من خلال التلاعب بالألفاظ ، وإسماع الآخرين ما يحبون سماعه رغبة في إزالة الاحتقان وتلطيف الأجواء ، ويكتفي القوم بظاهر المعنى وينفض الخلاف ، وتبقى جذوره قائمة ، ليبزغ خلاف جديد في مرحة لاحقة ، وهكذا ، الأمر الذي ينعكس بشكل صارخ على اللغة المستخدمة في التعبير عن هذه المواقف المتناقضة . وهنا يجد الباحث في لغة الخطاب السياسي نفسه كمن يسير في حقل من الأشواك، فلا تكاد دلالة كلمة أو تركيب لغوي يستقر في الساحة السياسية حتى يتم استبدالها ، ويصعد بدلاً منها تراكيب أو وحدات لغوية أخرى تمشياً مع الظرف السياسي وتطوراته، وقد ظهر ذلك جلياً في هذا البحث . وهنا يقف المواطن العربي وبخاصة الفلسطيني حائراً ، فهو يسمع في ظرف سياسي ما أن الدول العربية متواطئة مع الاحتلال ، وفي ظرف آخر داعمة للقضية الفلسطينية ! والأمر نفسه مع أمريكا كما مر معنا ، فهي كما نعلم دولة استعمارية انتهازية تتبنى المواقف الإسرائيلية بالكامل ، لكنها في سياقات سياسية معينة تعد راعياً لعملية السلام ووسيطاً يفترض فيه أن يكون نزيهاً ! أما إسرائيل الدولة الاحتلالية العنصرية نراها في سياقات لغوية شريكاً في عملية سلام وجاراً لنا ! وأخيرا

ً، فإن فلسطين التاريخية التي نتحدث عنها قد أصبحت غزة والضفة الغربية ، وأن إطـــلاق لفـــظ فلسطين على هذه الأراضي هي تسمية مجازية على رأي البلاغيين ؟!

وفي النهاية نقول إن الخطاب السياسي الفلسطيني في ميدان الصراع العربي الصهيوني وما يتصل به من رؤى وتصورات واستعدادات، خطاب مبني في الأساس علـــى اعتبـــارات الواقـــع بإمكاناته من جهة، ومن جهة أخرى محكوم في منطلقاته وأهدافه البعيدة بتطلعات شعب ينبغي ألا تموت، وبحقائق تاريخ وحقوق أمة يجب أن تؤخذ في الاعتبار، وهو ما يجـــب ألا يغيـــب عـــن الوعي، أو أن يخرج من دائرة الحسابات الدقيقة. وكل حسابات تؤدي إلى نتائج ليست في صـــالح الأمة وقضاياها العادلة على المدى القريب هي حسابات لا تلزم الآخرين ، ولا تفـــرض علـــيهم واقعاً لا يرتضونه .

**الهوامش**

**1**-أولمان ، ستيفن ، ( 1992 ): دور الكلمة في اللغة ، ترجمة وتعليق الدكتور كمـــال بشـــر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ص 26 . و شرف، عبد العزيز ،علم الإعـــلام اللغـــوي، المركـــز الثقافي الجامعي ، القاهرة ، ص 13 .

**2**-البخاري ، محمد بن إسماعيل ( 1422ه ) : صحيح البخاري، 9 أجزاء، دار طوق النجاة، ج 8 ، رقم الحديث ( 6478 ) .

**3**-بشر، كمال ( 1995 ) : علم اللغة الاجتماعي ، دار غريب للطباعة والنشر ، القـــاهرة ، ص 36 .

**4**-أنيس، إبراهيم ( 1991 ) : دلالة الألفاظ ، الطبعة السادسة ، مكتبـــة الأنجلـــو المصـــرية ، القاهرة ، ص 109 .

**5**-أولمان، ستيفن ( 1992 ) : ص 73 .

**6**-أبو عاصي ، محمد سالم ( 1997 ) : الدلالات وأثرها في تفسير القرآن الكريم ، دار علـــي للطباعة، مصر، ص 16 .

**7-** Bloomfield L (1979): Language London . p 139

**8-** Firth . J . R .( 1978): The tongues of men and speech . Oxford . London P69.

**9**-بشر، كمال ( 1995 ) : علم اللغة الاجتماعي ، ص 36 .

**10**-أنيس، إبراهيم ( 1991 ) : دلالة الألفاظ ، ص 106 .

**11**-ابن منظور، جمال الدين ، محمد بن مكرم ( 1968 ) : لسان العرب، 15 جـزءاً، ط 1 ، دار صادر، بيروت، ج1 ، مادة ( خطب ) .

**12**-تودوروف، تزفتان ( 1993 ) : اللغة والأدب في الخطاب الأدبي، ترجمة سعيد الغـانمي، المركز الثقافي، بيروت، ص48 .

**13**- Hartman and Stork .( 1970): Dictionary of applied Linguistics . London.p69.

**14**- عبدالله، إبراهيم ( 1993 ) : إشكالية المصطلح النقدي ( الخطاب والنص ) ، مجلة آفاق، بغـداد، ص56 .

**15**- الجابري، محمد عابد ( 1982 ) الخطاب العربي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، ص35 .

**16**- شاطي، ناصر عويد، الخطاب الثقافي .. النص والقارئ، جريدة الصباح، 2004/10/25م، العدد 417 ، بغداد، ص7 .

**17**- المرجع السابق ، والصفحة نفسها .

**18**- علوش، سعيد( 1985 ) : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، الدار البيضاء، ص 83 .

**19**- أولمان، ستيفن ( 1992 ) : دور الكلمة في اللغة، ص 62 .

**20**- الخزرجي، عبد الإله ( 1984 ) : تحليل لغة الدعاية، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، ص 36.

**21**- Bell, D.V.J. Power (1975 ): influence and Authority: political, New York : Oxford University Press,P ; 9-10.

**22**- شرف، عبد العزيز ، علم الإعلام اللغوي، ص 51 .

**23**- Doris. A . Graber . (1981): political Language ,Newbury Park : C A , Sage, , p : 197

**24**- إمام، إبراهيم ( 1976 ) : العلاقات العامة والمجتمع، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 147 .

**25**- حجازي، محمود فهمي ( 2004 ) : مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ص 159 .

**26**- عبد العزيز، محمد حسن ( 1990 ) : المصاحبة في التعبير اللغوي، دار الفكر العربي، القـاهرة، ص 11 .

**27**- الأحمد، عدنان وزميله ( 2005 ) : قضايا معاصرة، دار وائل للنشر، عمان، ص 18 وما بعدها .

**28**- وثيقة اتفاقية أوسلو، الاتفاقيات الإسـرائيلية الفلسـطينية حـول الضـفة الغربيـة وقطـاع غـزة ( 1997)، دار الجيل للنشر، عمان، ص 7 وما بعدها .

**29**- العبد، محمد ( 1999 ) : بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 69 .

**30**- الزمخشري، جار الله ( 1392ه ) : الكشاف،4ج، مصطفي البابي الحلبي، القاهرة، ج4، ص 103 .

**31**- حسان، تمام ( 1994 ) : اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، ص 218.

**32**- الأشموني (1955 ) : شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، 4ج، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ج3 ص 95.

**33**- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان ( 1973 ) : الكتاب، 5ج، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1 ،ص 421 .

**34**- الأزهري، الشيخ خالد( د.ت ) : شرح التصريح على التوضيح، 2ج، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ج2 .ص 108 .

**35**- ابن هشام، جمال الدين بن يوسف( 1980 ) : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، 4ج، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، الطبعة السادسة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 3 ، ص 4.

**36**- عبد العزيز، محمد حسن ( 1983 ) مدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة العربية، القاهرة، ص 142 ، و عبد اللطيف، محمد حماسة ( 2005 ) : مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ص 81 .

**37**- أولمان، ستيفن ( 1992 ) : دور الكلمة في اللغة، ص 108 .

**المراجع**

**أولاً : المراجع العربية**


- الأشموني (1955 ) : شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، 4ج، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ج3 .
- ابن منظور، جمال الدين ، محمد بن مكرم ( 1968 ) : لسان العرب، 15 جزءاً، ط 1 ، دار صادر، بيروت، ج1 .
- ابن هشام، جمال الدين بن يوسف( 1980 ) : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، 4ج، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، الطبعة السادسة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 3 .
- أبو عاصي ، محمد سالم ( 1997 ) : الدلالات وأثرها في تفسير القرآن الكريم ، دار علي للطباعة ، مصر .
- إمام، إبراهيم ( 1976 ) : العلاقات العامة والمجتمع، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة .
- الأزهري، الشيخ خالد( د.ت ) : شرح التصريح على التوضيح، 2ج، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ج2.
- أولمان ، ستيفن ، ( 1992 ): دور الكلمة في اللغة ، ترجمة وتعليق الدكتور كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ص 26 . و شرف، عبد العزيز ،علم الإعلام اللغوي، المركز الثقافي الجامعي ، القاهرة .

- أنيس، إبراهيم ( 1991 ) : دلالة الألفاظ ، الطبعة السادسة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.
- الأحمد، عدنان وزميله ( 2005 ) : قضايا معاصرة، دار وائل للنشر، عمان .
- البخاري، محمد بن إسماعيل ( 1422هـ) : صحيح البخاري، 9 أجزاء، دار طوق النجاة، ج 8.
- بشر، كمال ( 1995 ) : علم اللغة الاجتماعي ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة .
- تزفيتان تودوروف ( 1993 ) : اللغة والخطاب الأدبي، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي، بيروت.
- الجابري، محمد عابد ( 1982 ) الخطاب العربي المعاصر، دار الطليعة، بيروت .
- حجازي، محمود فهمي ( 2004 ) : مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة.
- حسان، تمام ( 1994 ) : اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء.
- الخزرجي، عبد الإله ( 1984 ) : تحليل لغة الدعاية، مكتبة الشرق الجديد، بغداد .
- الزمخشري، جار الله ( 1392ه ) : الكشاف،4ج، مصطفي البابي الحلبي، القاهرة، ج4.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان ( 1973 ) : الكتاب، 5ج، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1.
- شرف، عبد العزيز ،علم الإعلام اللغوي، المركز الثقافي الجامعي ، القاهرة .
- شاطي، ناصر عويد، الخطاب الثقافي .. النص والقارئ، جريدة الصباح، 2004/10/25م، العدد 417، بغداد.
- عبد العزيز، محمد حسن ( 1983 ): مدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة العربية، القاهرة .
- عبد العزيز، محمد حسن ( 1990 ) : المصاحبة في التعبير اللغوي، دار الفكر العربي، القاهرة.
- عبد اللطيف، محمد حماسة ( 2005 ) : مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة .
- العبد، محمد ( 1999 ) : بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي، دار الفكر العربي، القاهرة .
- علوش، سعيد( 1985 ) : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، الدار البيضاء.
- وثيقة اتفاقية أوسلو، الاتفاقيات الإسرائيلية الفلسطينية حول الضفة الغربية وقطاع غزة ( 1997)، دار الجيل للنشر، عمان .

**ثانياً: المراجع الأجنبية**

- Bloomfield . L . ( 1979 ) : Language . London .
- Bell . D,V,G, Power (1975 ) : influence and Authority: political, New York : Oxford University Press
- Doris. A . Graber . (1981): political Language ,Newbury Park : C A – Sage .
- Firth . J . R .( 1978): The tongues of men and speech . Oxford . London .
- Hartman and Stork .( 1970): Dictionary of applied Linguistics . London .